مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العـدد: 01 (2024)، ص: 813-835

التصوّرات المعاصرة لتحليل الخطاب، قراءةٌ في أبرز معالم التخصّص

The contemporary perceptions of discourse analysis, A reading of the most prominent features of the discipline

د.محمود طلحة[1]

[1] جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، m.talha@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 25 /2023/12 تاريخ القبول: 2024/02/27 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص:

يهدف بحثنا في هذا المقال إلى التعرّف على تخصّص تحليل الخطاب عبر التصوّرات المختلفة له، انطلاقاً من تحديد الظاهرة التي يدرسها وهي ظاهرة الخطاب، ثمّ الإشارة إلى أهمّ المقاربات التي شاعتْ واشتهرت نظراً وتطبيقاً، بالتركيز على المقاربات الأنجلوساكسونية والمقاربة الفرنسية، ثمّ التمثيل بأهمّ ما قدّمه كلٌّ من "دومنيك مانغينو" عن المقاربة الفرنسية، و"توين فان دايك" عن المقاربات الأنجلوساكسونية.

وتمثّل الاقتراحات المختلفة عبر المقاربات المتنوّعة تداخل الاختصاصات من جهة، كما تمثّل كثافة المنتج معرفياً في هذا التخصص لأهميته من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: خطاب، تحليل الخطاب، مقاربة، تواصل، مقام إنتاج.

Abstract: Our research in this article aims to identify the discipline of “discourse analysis” through its various perceptions, starting from defining the phenomenon it studies, which is the phenomenon of “discourse”, then pointing to the most important approaches that have become widespread and famous in theory and applications, focusing on the Anglo-Saxon approaches and the French approach, then representing the most important things each has presented by "D.Maingueneau" on the French approach, and "T.A.Van Dyck" on the Anglo-Saxon approaches.

The different proposals across the various approaches represent the interdisciplinarity on side, and the knowledge density of the product in this discipline due to its importance on the other side.

Keywords: Discourse, Discourse Analysis, Approache, Communication, Situation of production.

***المؤلف المرسل:** محمود طلحة

1. مقدمة

صار معروفًا في التخصّصات المعاصرة ما يُصطلح على تسميته بتحليل الخطاب (L'analyse du discours, Discourse analysis)، والنظر إلى هذا المصطلح عبر الْمُنتَجَات المعرفية الأكاديمية والاستعمالات التي غَلُبَتْ عليه نجد فيه اختلافاً كثيراً، وهو اختلاف معرفيٌّ يتراوح بين المنهج والتخصّص، فهناك من يجعل تحليل الخطاب منهجاً للتحليل، يتمّ من خلاله تحليل النصوص والخطابات وفق نظريات متعدّدة ومختلفة، وهناك من يجعل تحليل الخطاب تخصّصاً قائمًا بذاته، يتمّ في إطاره تحليل النصوص والخطابات عبر مفاهيم محدّدةٍ ومضبوطةٍ، ولذا فالغرضُ من مقالنا هو التعرّف على التصوّرات المعاصرة المختلفة لتحليل الخطاب، ويمكننا الانطلاق من الظاهرة التي يتركّز حولها تحليل الخطاب، وهي ظاهرة الخطاب، فهل الخطاب وحدةٌ لسانيةٌ؟، وكيف عرّفها المنظّرون لتحليل الخطاب؟ ثمّ لماذا اختلفت تصوّراتهم لتحليل الخطاب؟ وهل يمكن النظر إليه تخصّصاً قائماً بذاته يحتوي المفاهيم الخاصّة به؟، هذه التساؤلات هي ما نحاول الإجابة عنه عبر مقالنا هذا.

2. مفهوم الخطاب

تكشف لنا التعريفات التي يقترحها المنظّرون المعاصرون لتحليل الخطاب عن وجهات نظرٍ مختلفةٍ، وقد تجمّع لدينا من متابعة أهمّ تعريفات الخطاب ثلاثة تصوّرات نعتقد أنّها أدّت إلى صياغة تلك التعريفات، وهي:

1.2 التصوّر التركيبي:

وهو التصوّر الذي ينطلق من وجهة نظرٍ تركيبية، ويُنْظَرُ إلى الخطاب من خلالها على اعتبار المكوّنات التركيبية، وتبعاً لذلك تتمّ مقابلته بمفهوم الجملة، فإذا كانت الجملة قد استحوذتْ على اهتمام اللسانيّين بعد الدراسات النحوية القديمة، فإنّه صار من الْمُسَلَّم به لدى بعض اللسانيين أنّ كلّ ما يفوق الجملة هو خطاب، ويتمّ أيضًا مقابلة هذا المفهوم بمفهوم النص، بل يتجاوز الأمرُ المقابلةَ إلى المطابقة بين النص والخطاب عند بعض الدارسين، ومن بين التعاريف التي تنطلق من هذا التصوّر ما جاء في "قاموس اللسانيات" لمجموعةٍ من الباحثين: «الخطابُ وحدةٌ تساوي أو تفوق الجملة، وهو يتكوّن من سلسلة تُشكّل رسالة لها بدايةٌ ونهايةٌ» (J.Dubois, 2001, p. 156)، أو قول بعض الباحثين بأنّه: «وحدة لسانية ذات بُعْدٍ يَفُوقُ الجملة (فوق جملي)» (C.Baylon, 2002, p. 235).

2.2 التصوّر الدلالي:

ويقوم هذا التصوّر على اعتبار دلالة الخطاب، فدلالة الخطاب ليست كدلالة الجملة أو النص، وإن كان بعض اللّسانيين يرون أن الخطاب مساوٍ للنصّ من ناحية الدلالة إلّا أنّهم يشترطون إضافة إلى شموله للجملة أن يكون متماسكاً، فمثلاً يذهب "غريماس" (A.J.Greimas) إلى أنّ الخطاب : «وحدةٌ دَالَّةٌ والتي يجدر أن تُحَلَّلَ دلالياً» (G-E.Sarfati, 2001, p. 12)، وهذا أيضاً ما ذهب إليه "بيير زيما" في تعريفه للخطاب بأنّه: « وحدة فوق جملية، تولد من لغة جماعية، وتعتبر بنيتها الدلالية "كبنية عميقة" جزءاً من شيفرة، ويمكن تمثيل مسارها التركيبي

النحوي بواسطة نموذج تشخيصي (سردي)[عاملي]» (إبراهيم، 1999، صفحة 108).

2. 3 التصوّر التداولي

وهو التصوّر الأكثر شيوعاً للخطاب، كما أنّه الأكثر ارتباطاً بتحليل الخطاب، وهذا التصوّر لا ينظر إلى الخطاب باعتباره تتابعاً جملياً أو كلاً دلالياً متماسكاً فقط، وإنّما ينظر إلى الخطاب باعتباره سيرورةً تواصلية دلالية، لا تنفك عن المقام التواصلي الذي تمَّ إنتَاجُهَا فيه، وتتعدّد التعريفات بهذا التصور تعدُّداً يختلف حسب نقطة التركيز التي صِيغَ بِهَا كلُّ تعريف، غير أنّ الجامع بينها وَضْع مفهوم الخطاب في قلب العملية التواصلية التي تفترضُ مُنْتِجاً ومتلقّياً ومقاماً تواصلياً معيَّناً، وقد حاول "دومينيك مانغينو" جمع أهمّ الخصائص التي تُبَيِّن المفهوم بهذا التصّور، وتلك الخصائص هي (D.Maingueneau, 2002, pp. 185-190):

أوّلاً- الخطاب يفترض تركيباً أشمل من الجملة: وهذا لا يعني في نظر "مانغينو" أنّ كلّ خطاب إنّما هو تتابع لكلماتٍ يكون ضرورةً في حجمٍ أكبر من الجملة، بل هو استعمالٌ لِبُنىً من مستوى آخر غير تلك التي نجدها في مستوى الجملة، وعلى هذا يمكن أن نعتبر "الْمَثَل" خطاباً لأنّه يشكّل وحدةً مكتملةً رغم أنّه في بعض الأحيان ليس إلّا جملة واحدة، وعلى هذا تختلف قواعد التنظيم في مستوى الخطاب عن تلك التي نجدها في مستوى الجملة.

ثانياً- الخطاب مُوَجَّهٌ: وهذا يعني أنّ الخطاب ليس موجّها فقط، حيث يتوجّه به متكلّم ذو قصد معيّن نحو مخاطب أو متلقّ معيّن، بل يعني كذلك أنّه يتضمّن بعض العبارات التي تدلّ على هذا التوجيه، والتي لا تخلو منها التحاورات اليومية، كما لا تخلو بعض الخطابات من بعض العبارات الدالة على الخروج من القصد الأساسي أو الرجوع إليه.

ثالثاً- الخطاب شكل من أشكال الفعل: تحت تأثير نظرية الأفعال الكلامية يتمّ النظر إلى الملفوظات على أنّها أفعال، وتشكّل هذه الأفعال الجزئية أفعالاً كلّيةً هي خطابات يُنظَرُ إليها وفق أجناس الخطاب، أي باعتبارها صورةً من صور النشاط الاجتماعي.

رابعاً- الخطاب تفاعليّ: ويظهر الشكل التفاعلي للخطاب خصوصاً فيما يسمّى بالتحاورات، والتي يتوجّه فيها كلُّ متحاور إلى الآخر بالكلام، ومع أنّ كثيراً من الخطابات لا تظهر فيها هذه الخاصّية التي تقتضي وجود متحاورين إلّا أنّه في ظلّ اعتبار هذا الشكل (أي التحاور) الأصلَ في أشكال التفاعل الأخرى، يتم النظر إلى أنّ الأنواع الأخرى من الخطابات تفاعلية أيضاً، إذ تقتضي دائماً وجود متلقِّين، واقعيّين أو مفترضين، يتمّ التوجه بالكلام إليهم أو يتمّ صياغة الخطاب بالنظر إليهم.

خامساً- الخطاب مسوقٌ: لا يفضّل مانغينو هنا الحديث عن أنّ الخطاب يدخل ضمن سياق، إذ يمكن النظر إلى السياق بهذا الاعتبار على أنّه ليس إلّا إطاراً، ولذا فهو يفضل القول بأنّه لا يمكن تصوّر خطاب دون سياقٍ معيّن، بل لا يمكننا إعطاءُ معنىً لملفوظٍ ما خارج السياق، في حين أنّ الخطاب يمكن أن يُسهِمَ في تعريف سياقه أو في تغييره أثناء التلفظ.

سادساً- الخطاب مستعمل: لا يمكن تصوّر الخطاب إلّا باعتباره متعلّقا بذاتٍ تستعمله، وتحيل عليها الضمائر الموجودة فيه، وتكون مرجعاً للإحالات الزمانية والمكانية، وتشير إلى الموقف الذي تتخذه مما يقوله الخطاب ومن المخَاطب، والنظر في أشكال الذاتية التي يفترضها الخطاب تعتبر من أهم المحاور في تحليل الخطاب.

سابعاً- الخطاب محكومٌ بمعايير: مثل أيّ سلوك اجتماعيّ فإنّ الخطاب محكومٌ بمعايير شديدة العمومية، كما أنّه محكومٌ بمعايير نوعية خاصة، مثل تلك التي نجدها في إشكالية قوانين الخطاب، وعلى هذا فإنّ كلّ فعل تلفّظي يعطي التبرير لتقديمه على الوجه الذي تمّ تقديمه به من خلال الأعراف الاجتماعية، ويتمّ النظر

إليها في مستوى الخطاب وفق الأجناس الخطابية التي ينتمي إليها الخطاب، والتي تعدّ نوعاً من إضفاء الشرعية عليه.

ثامناً- الخطاب مأخوذٌ ضمن تداخل الخطابات: وهذا يعني أنّ الخطاب لا يأخذ معنىً إلّا بالنظر إليه داخل عالمٍ من الخطابات يُحدَّد وفقه، ولتأويل أدنى ملفوظ لابدّ من النظر في علاقته بالملفوظات الأخرى التي يمكن أن يرتبط بها، وهكذا فإنّ لكلّ جنسٍ خطابيٍّ طريقته الخاصة في ربط العلاقة بين الخطابات المنتمية إليه، ومجرّد كون الخطاب منتمياً إلى جنسٍ معين يقتضي ربطه بغيره من الخطابات المندرجة ضمن الجنس نفسه.

إن هذه الاعتبارات المتعدّدة تؤكّد ما قرَّرْناه من أنّ تنوّع وجهات النظر إلى مفهوم الخطاب تجعل تعريفه متعدّدًا، وفي نفس الوقت تجعل تحديد تخصّص "تحليل الخطاب" متعدّدًا كذلك، غير أنّ الرابط الذي يمكننا أن نستخلصه من تعريف "مانغينو"، هو رابط الاستعمال، والحديث عن الاستعمال يعني بالضرورة الحديث عن مقتضيات ذلك الاستعمال سواءٌ أكانت تلك المقتضيات تواصلية أو مقامية أو اجتماعية أو نفسية، وهذا المزيج من المقتضيات التي تؤطّر مفهوم الخطاب هي التي جعلت أوجه النظر إليه تتعدّد وتعاريفه تختلف، ويمكننا أن نطرح التساؤل التالي تبعاً لتعرّفنا على مفهوم الخطاب، ما هو تحليل الخطاب؟ وما الذي يتكفّل هذا التخصّص بدراسته؟، وللإجابة عن هذا التساؤل ننتقل إلى العنصر الثاني من مقالنا وهو التعرّف على التصوّرات المعاصرة التي يطرحها المنظّرون لتحليل الخطاب.

3. المقاربات الأنجلوساكسونية لتحليل الخطاب

يمكننا التمييز ابتداءً بين توجّهين أساسيّين في تحليل الخطاب: الأوّل هو ما يسمّى بالمقاربة الأنجلوساكسونية، والثاني هو المقاربة الفرنسية، وإذا كان أوّل استعمالٍ لمصطلح "تحليل الخطاب" على يد اللساني الأمريكي "ز. هاريس"، إلّا أنّ

استعماله لم يكن بنفس المقصود بالمصطلح في الفترة المعاصرة، ونستطيع أن نحكم من الجهة التاريخية بأنّ جهود "هاريس" ليست الحدثَ المؤسّس لهذا التخصص، وفي نفس الوقت لا نستطيع إرجاع ظهور التخصّص إلى حدثٍ تأسيسيّ، بينما يذهب البعض من الباحثين إلى اعتبار جهود هاريس منضويةً تحت "نحو النص"، إذ كان أغلب جهده منصباً على تطبيق بعض قواعد تحليل الجملة على وحدة أعلى هي الخطاب، غير أنّ أوائل البحوث التي تندرج ضمن التصورات والمفاهيم والمبادئ التي تنتمي الآن إلى تحليل الخطاب قد كانت في سنوات الستينات وتواصلت إلى سنوات التسعينات من القرن العشرين الميلادي، حين استقرّ التعارف على التخصص وصار يمكن الحكم باستقلاله المعرفي والمنهجي، وأهمّ المقاربات الأنجلوساكسونية التي أسهمت في تحليل الخطاب هي ما لخّصته الباحثة "ديبورا شيفرن" (Deborah Shieffrin) في المقاربات التالية:

1.3 مقاربة أفعال الكلام

وهي الناشئة عن نظرية الأفعال الكلامية التي أتى بها الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين"(J.Austin) وأضاف إليها وعدّلها الفيلسوف "جون سيرل"(J.Searle)، وهي نظرية تنطلق من أنّ اللغة لا تُستَعْمَلُ لتصفَ العالم فقط، وإنّما لتُحدثَ أفعالاً كذلك بمجرّد النطق بالملفوظات، «ومقاربة أفعال الكلام للخطاب تتركّز حول معرفة الشروط الأساسية لإنتاج وتأويل الأفعال عبر الكلمات» (Shieffrin, 1994, pp. 6-7) ويتمّ ذلك بدراسة العلاقة القائمة بين الملفوظات وبين سياقاتها المختلفة، ومع أنّ نظرية أفعال الكلام لم تنشأ في أول أمرها لتُعنى بتحليل الخطاب إلاّ أنّ بعض القضايا الجزئية مثل الأفعال الكلامية غير المباشرة وتعدّد الوظائف والعلاقة مع السياق تؤدّي إلى تحليل الخطاب..

2.3 مقاربة اللسانيات الاجتماعية التفاعلية: ولها أصول متعدّدة من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع واللسانيات وتشترك معها في حقولها المعرفية الثلاثة

وهي: الثقافة والمجتمع واللغة، وبعض المقاربات التفاعلية التي تأثّرت بعالم الأنثروبولوجيا الأمريكي "جون غامبرز"(J.Gumperz) تركّز حول كيف يمكن لأفرادٍ من ثقافات متعدّدة الاشتراكُ في معرفةٍ نحويةٍ بلغةٍ مّا مع الاختلاف في السياقات التي أنتجت فيها الأقوال المختلفة، بينما بعض المقاربات التفاعلية الأخرى التي تأثّرت بالأنثروبولوجي "إرفينغ غوفمان" (E.Goffman) تركّز حول كيفية انسياق اللغة في ظروفٍ خاصة من الحياة الاجتماعية وكيف تؤدّي ضروبًا مختلفةً من المعاني والمباني المتعلقة بهذه الظروف، وحسب هذه الباحثة فإنّ المقاربة التفاعلية باعتمادها على ملفوظات واقعية في سياقات اجتماعية، يكون تحليلها متركّزاً حول كيف يتأسّس التأويل والتواصل على العلاقات المتبادلة بين المعاني الاجتماعية(العرفية) والمعاني اللسانية (Shieffrin, 1994, p. 8).

3.3 مقاربة إثنوغرافيا التواصل: وهي مقاربة للخطاب تتأسس على الأنثروبولوجيا وتشترك معها في كثير من التقاليد الأنثروبولوجية التي تهتمّ بالتفسيرات الكلية للمعاني والسلوكات، وأهم الدوافع لهذه المقاربة هو نقاش "ديل هايمز" (D.Hymes) لـ "تشومسكي" (N.Chomsky) حول نظرية اللغة التي أسّسها على مفهوم الكفاءة (Competence)، فمقترح هايمز البديل هو أن تهتمّ الدراسات بالكفاءة التواصلية، فالمعارف الضمنية الاجتماعية والنفسية والثقافية واللسانية تحكُمُ الاستعمال الخاصّ للغة، وبعض التحاليل الإثنوغرافية الأخرى تركّز دراستها حول كيف يعكس النحو في حدّ ذاته المعرفة الثقافية وأنظمة الفعل (Shieffrin, 1994, p. 8).

3. 4 المقاربة التداولية: إنّ المقصود بهذه المقاربة في نظر الباحثة "شيفرن" هو مجموع التحليلات التي تأثّرت بعمل الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس" (P.Grice)، فهو يقترح التفريق بين أصنافٍ من المعاني، ويبرهن على أنّ مسلّمات التعاون العامّة تؤدّي استلزاماتٍ لمقاصد المتكلّم التواصلية، والتداولية كثيراً ما تُعنى بتحليل مقاصد

المتكلّم في مستوى الملفوظات المساوية للجملة أكثر من النصّ، والملفوظات هي الوحدة المحدَّدة في استعمال اللغة. ولكن انطلاقًا من تحديد الملفوظ بأنّه يقع ضمن سياقٍ تحاول التداولية أن تصل إلى نتائجها ، ولذا قد تحتوي تحليلاتٍ للخطاب أو تتوسّل بتحليل الخطاب أثناء الدراسة (Shieffrin, 1994, p. 9).

3. 5 مقاربة التحليل التحاوري: وهي مقاربة للخطاب تتأسّس أيضاً على الفلسفة الظاهراتية (Phenomenology)، واهتماماتُها الأساسية تحدّدت بشكل شامل مع عالم الاجتماع الأمريكي "هارولد غارفينكل" (H.Garfinkel) الذي طوّر المقاربة المسمّاة بـ "المنهجية الإثنية" (Ethnomethodology) وتمّ تطبيق هذه المقاربة على التحاورات خصوصاً عند كلّ من "هارفي ساكس"(H.Sacks) و"إيمانويل شيغلوف" (E.Schegloff) و"جيل جيفرسون" (G.Jefferson)، وأهمّ ما يحاول التحليل التحاوري اكتشافه هو المناهج التي يتّبعها أفراد مجتمعٍ مّا إنتاج معنىً عرفي اجتماعي، والتحاور هو مصدر الكثير من المعاني العرفية الاجتماعية، ويُظهر كذلك نظامه ومعنى البنية الخاصين به. وإذا كان التحليل التحاوري يشترك مع اللسانيات الاجتماعية التفاعلية في الاهتمام بالنظام الاجتماعي وكيفية إنشاء اللغة ونشأتها في نفس الوقت عن طريق السياق الاجتماعي، وتركيزهما على التحليل التفصيلي لجملٍ ملفوظٍ بها فعلياً، فإنّه على العكس من اللسانيات الاجتماعية التفاعلية التي تفضّل الحكم على مقاصد المتحاورين وتأويلاتهم بالاستعانة بالمعلومات السياقية، يبحث التحليل التحاوري عن تعميمات حول السياق وحول السلوك والحياة الاجتماعيين من توالي الملفوظات في حدّ ذاته (Shieffrin, 1994, pp. 9-10).

3. 6 المقاربة التنوعية: وهي تتأسّس حول التنوع والتطوّر اللسانيين، وجاء منهجها ونظريتها من جهود "ويليام لابوف" (W.Labov)، والافتراضات الأساسية للدراسات التنوّعية هي أنّ التنوّع اللساني نموذجٌ اجتماعي ولسانيّ معاً، ومثل هذه النماذج لا يمكن الكشف عنها إلا عبر بحوثٍ منظّمةٍ لمجموعة متكلّمة، مع ذلك انحصرت

الدراسات التنوّعية في دراسة التنوعات المتكافئة دلالياً، وبعضها امتدّ للبحث في النصوص. ولقد كان جزءٌ مهمٌّ من المقاربة التنوعية للخطاب هو الكشف عن النماذج الشكلية للنصوص (السردية غالباً) وتحليل كيفية تقيّد مثل هذه النماذج بالنص. والمقاربة التنوّعية للخطاب أيضاً تستعمل بعض الأدوات الأساسية للتحليل اللساني فهي تقطّع النصّ إلى مقاطع، وتصنّف هذه المقاطع على أساس أنّها جزءٌ من بنية، وتربط وظائفَ بهذه المقاطع، إنّ هذه المقاربةَ تترك الكثير من استقلالية السياق (Shieffrin, 1994, p. 11).

وإذا كان هذا ملخّص ما عرضته الباحثة "شيفرن" في تعدادها لمقاربات تحليل الخطاب في التقاليد الأنجلوساكسونية، فإنّ الناظر في هذه المقاربات يستطيعُ أن يستنتج التنوّع الذي أحدثه تداخل الاختصاصات المتعدّدة التي تهتمّ بظاهرة الخطاب، غير أنّ الشيء الأكيد الذي من الممكن أيضاً استنتاجه هو أنّ ظاهرة الخطاب ظاهرةٌ لسانيةٌ متعلّقة بالاستعمال اللغوي بغضّ النظر عن تجلّيها أو حدودها؛ إنْ استقرّ ضمن جملةٍ متعلقّة بسياقٍ مّا، أو ملفوظاتٍ متعدّدة، أو نصٍ منظّمٍ بشكل جيّد.

على أنّ أهمّ توجُّهٍ في تحليل الخطاب في البلدان الأنجلوساكسونية هو ما يسمّى بـ"التحليل النقدي للخطاب" (Critical discourse analysis)، ويؤكّد أحد أعلامه، وهو "نورمان فاركلوف" (N.Fairclough)، الأهمّية التي يأخذها الجانب الاجتماعي في تحليل الخطاب، لذا نجده يقول في معرض حديثه عن هذا النوع من تحليل الخطاب: «تستند معالجتي في دراسة الخطاب (صيغةٌ من صيغ التحليل النقدي للخطاب) إلى التسليم بأنّ اللغة جزءٌ من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزاله، وبينه وبين عناصر الحياة الاجتماعية الأخرى علاقةٌ منطقية جدلية تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغةَ دائماً بعين الاعتبار» (فاركلوف، 2009، صفحة 19)، ونجده يفرّق في نفس الوقت بين توجّهين عامّين أو

صيغتين من صيغ تحليل الخطاب وذلك إذ يقول: «توجد عدّة صيغٍ لتحليل الخطاب، أحد التقسيمات الأساسية هو الفصلُ بين المعالجات التي تتضمّن تحليلاً مفصّلاً للنصّ، وتلك التي ليست كذلك» (فاركلوف، 2009، صفحة 20) ويقول بشأن موقع تحليل النصوص من تخصّص تحليل الخطاب: «تحليل النصّ جزءٌ أساسيٌّ من تحليل الخطاب، لكنّ تحليل الخطاب لا يقتصر على التحليل اللساني للنصوص، أرى أنّ تحليل الخطاب يتأرجح بين التركيز على نصوصٍ معيَّنةٍ والتركيز على ما أسمّيه نطاق الخطاب (Order of discourse) أي البناء الثابت نسبيًّا للغة الذي يشكّل مكوّناً في بناء الممارسات الاجتماعية والشبكة التي تؤلّفها، الثابتيْن نسبياً أيضاً. ويهتمّ التحليل النقديّ للخطاب بالاستمرارية والتغيير على هذا المستوى الأكثر تجريداً وبنائيةً من مستوى النصوص، كما يهتمّ أيضاً بما يحصل في النصوص بعينها. تربط طريقة تحليل النصوص في التحليل النقديّ للخطاب بين الاهتمام بالنصوص وبنطاق الخطاب» (فاركلوف، 2009، صفحة 21)، إنّ هذا التصوّر الذي يرى في تحليل الخطاب أداةً للدراسات الاجتماعية يؤكّد إلى حدّ كبيرٍ التنوّع الذي يأخذه تحليل الخطاب في الأوساط الأكاديمية الأنجلوساكسونية.

4. المقاربة الفرنسية لتحليل الخطاب:

أثّرت بعض الأبحاث الفلسفية والإيديولوجية في النشوء المباشر للمقاربة الفرنسية، مثل أفكار "ميشال فوكو" (M.Foucault) والتحليل الآلي للخطاب عند "بيشو" (M.Pecheux)، غير أنّ المميز الرئيس لهذه المقاربة هو التأثّر بالنظريات التلفّظية والتداولية فيما بعد، ويعدّ "إميل بنفنيست" (E.Benveniste) أحد أهمّ اللسانيين الفرنسيين الذين استطاعوا فتح أفقٍ جديدٍ للبحث انطلاقاً من تمييز مفهوم الخطاب، فقد ذهب "بنفنيست" في بحثه عن مستويات التحليل اللساني إلى وجود مستوياتٍ مختلفة في البنى اللغوية، إذ تتكوّن الفونيمات عبر مجموعةٍ من السمات المميّزة، وتجتمع الفونيمات مكوّنةً "مورفيمات" أي كلماتٍ، وتدخل الكلمات

أيضاً في تكوين جملٍ، غير أنّ سبل التكوّن والبناء في هذه المستويات تختلف عن مستوى أعلى من الجملة تستطيع جمل قليلة أو عديدة أن تكوّنه، وهو ما يُدخلُ مفهوم الخطاب، فالمبدأ الذي يحكم هذه المستويات هو مبدأ التقابل، أمّا الجملة فهي «إبداع لا نهائي، وتنوّعٌ بدون حدودٍ، وهي حياة اللغة نفسها في الاستعمال، ويمكننا تلخيص ذلك بأنّنا مع الجملة نتجاوز مجال اللغة باعتبارها نظاماً من العلامات، وندخل في عالمٍ آخرَ، وهو اللغة باعتبارها وسيلةَ تواصلٍ والتي نعبّر عنها بالخطاب» (Benveniste, 1966, pp. 130-131)، وبناءً على هذا استنتج "بنفنيست" أنّ الجملة مخصوصةٌ بالخطاب، ومن هنا يمكن تعريفها بأنّها: وحدة الخطاب، فهي مكوّنةٌ له، ووحدةٌ كاملةٌ تحمل معنىً وتحيل إلى مرجعٍ، تحمل المعنى من جهة دلالتها، وتحيل إلى مرجع لأنها متعلّقة بمقامٍ معيَّن (Benveniste, 1966, p. 131)، وهذه العلاقة التي حاول بنفنيست إقامتها بين الجملة من جهةِ تكوينها للخطاب (باعتباره اللغة في الاستعمال التواصلي)، وبين المقام الذي قيلت فيه الجملة هو جوهر ما أتى به في نظريته للتلفظ، فهو يعرّف التلفّظ بقوله هو وضع اللغة في الاستعمال عبر حدثٍ فرديّ (Benveniste E. , 1974, p. 12) ويربط التلفظ بالخطاب فيقول في تعريفٍ آخر: "يجب أن نفهم الخطاب في مدلوله الأوسع، كلُّ تلفّظٍ يفترض متكلّماً وسامعاً وعند الأول قصد التأثير على الثاني بطريقةٍ ما" (Benveniste E. , 1966, pp. 240-241)ولا شكّ أن هذا التوجّه الجديد في النظر إلى اللغة قد أثّر كثيراً فيمن أتى بعد بنفنيست، ولا يمكننا الجزم بإمكانية استيحاء "فوكو" لبعض أفكار التلفظ والخطاب انطلاقاً مما قدّمه بنفنيست غير أنّها إمكانية قائمة الاحتمال.

وإذا كانت المقاربة الفرنسية قد تأثّرت بأعمال هذين العالمَيْن، فإنّ صياغتها الأساسية لم تظهر إلّا في سنوات الثمانينات، حين أخذ المحلّلون فيها مبادئهم وتصوّراتهم من اللسانيات التلفظية التي بدأها بنفنيست وتواصلت عند "أوزوالد

ديكرو" (O.Ducrot) و"أنطوان كيليولي" (A.Culioli)، ومن بعض النظريات التداولية كنظرية أفعال الكلام التي دخلت مجال اهتمامهم، كما يضافُ إليها انتشار نوعٍ آخر من اللسانيات التي تهتمّ بالنصوص التي تجلّت في "أنحاء النص" وقد باشرها اللسانيون الألمان ثم توسّعت بشكل لافتٍ للنظر، وكان من نتائج انتشارها أن شاع كثيراً ذلك التصوّر الذي يرى تحليل الخطاب مجالاً لتحليل النصوص، وهو تصوّرٌ ينطلق من كون النصّ وحدةً مجاوزةً للجملة، ومقالُ الباحثيْن "ميشال شارول" و"برنارد كومبيت" يدور في هذا الفلك (B.Combettes M.Charolles, 1999)، فقد عرضاَ فيه إلى أربع مقاربات تجلّت عبرها محاولةُ إيجاد موضوعٍ خاصٍّ بالبحث في تحليل الخطاب، وهو موضوعٌ لا تقف حدوده عند مستوى الجملة، وهذه المقاربات هي:

- التحليل التلفّظي عند بنفنيست

- تحليل التماسك عند "هاليداي ورقية حسن"

- الأنحاء النصّية عند كلٍّ من فان دايك وبتوفي وهارتمان وهارفيغ وبالمر ورايزر ودرسلر وغيرهم، وقد ركّزا حديثهما عن فان دايك لأنّه الاسم الأكثر ظهوراً في هذا المجال (B.Combettes M.Charolles, 1999, pp. 83-89).

- تحليل الخطاب والتداولية وفيه أشارا إلى بعض النظريات التداولية كنظرية الملاءمة عند "سبربر وويلسون" أو بعضِ مقاربات تحليل الخطاب التي اعتمدت على تحاورات فعلية كما نجده عند "يول وبراون" (B.Combettes M.Charolles, 1999, p. 91).

وفي ظلّ هذه المقاربات تساءل هذان الباحثان عن الجدوى من فرضيّة أطلقها "موشلير وربول" ومفادها أنّه لا يوجد في تحليل الخطاب موضوعٌ محدّدٌ إذا كان تأويل الملفوظات في خطاب متتابعٍ لا يتمّ إلا عبر مبدأ واحدٍ هو مبدأ الملاءمة الفُضْلَى (B.Combettes M.Charolles, 1999, pp. 94-95)، وهذا ما يطرحُ في نظرهما

مشروعية تحليل الخطاب الذي يُعنى ليس بتأويل الملفوظات وإنّما بدراسة خصائص التركيب بين الجمل في الخطاب وهو ما يمكن التعبير عنه بالتماسك والانسجام، وقد حاولا في إطار هذا إثباتَ أحقّية الوجود بالنسبة لهذا التخصّص انطلاقاً من النظر في تركيب الجمل بعضها إلى بعضٍ ووجود ظواهر تقتضي نوعاً آخر من الدراسة يختلف عمّا يوجد في الأنحاء التي تُعنى بالجملة (B.Combettes M.Charolles, 1999, p. 94).

وعلى هذا فقد لخّص هذان الباحثان مرادهما من المقال في نقطتين أساسيتين هما:

1- أن الجملة ليست وحدةً منسجمةً من الجهة البنيوية، فبعضُ مكوّناتها الخارجة عن إطار العلاقة الإسنادية تحتلّ مكاناً غير مستقرٍّ بين الجملة والخطاب.

2- أنّه حين يُنظَرُ إلى علم التراكيب نظرةً مخالفةً للتصوّرات البسيطة السائدة، فإنّ الفجوة بين الجملة وبين الوحدة المجاوزة لها ستظهر أقلّ عمقاً. وفي هذه النظرة الجديدة يتمّ التركيز خصوصاً على العلاقة الموجودة بين علم التراكيب من جهة وبين علم الدلالة والتداولية من جهة أخرى، ومن خلالها أيضاً يمكن أن ينشأ تحليل الخطاب أو تحليل النصّ في نظرهما (B.Combettes M.Charolles, 1999, p. 103).

إنّ هذه الوضعية التي تختلف فيها نقاط التركيز ومواضع الاهتمام بين مجموعة من التخصّصات التي تتّخذ الخطاب موضوعاً لها هي التي بلورتْ مصطلح لسانيات الخطاب في نظر من يستخدمه، وعلى هذا فتحليل الخطاب في نظر "مانغينو" مثلاً وكما أشرنا إليه من خلال التعريف السابق ذِكره في بداية هذا المقال يتّخذ موضوعاً له ربطَ العلاقة بين النص وبين وسطه الاجتماعي الذي أدّى إلى ظهور النص على ما هو عليه، والتفكير في هذه العلاقة ودراستها وتحليلها يمثل في نظرنا جوهر التميّز في تحليل الخطاب عن غيره من التخصّصات التي تطرق الموضوع

نفسه، وقد حاولت أيضاً "ديبورا شيفرن"- من وجهة نظر أنجلوساكسونية- أن تفرّق بين مستويين في دراسة ظاهرة الخطاب: الأول هو تحليل الخطاب بما يشبه مصطلح لسانيات الخطاب، والثاني مجموعة مفتوحة من المقاربات هي التي أشرنا إليها أعلاه.

5. تحليل الخطاب عند "دومنيك مانغينو":

يعدّ "دومنيك مانغينو" من بين أهمّ روّاد تحليل الخطاب وخصوصاً في المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب، وقد كانت كتبه وتآليفه كثيرةً في هذا الجانب، وسعى فيها إلى توضيح تصوّره في تحليل الخطاب، ومن بين أهمّ تلك الكتب كتابه "الكلمات المفاتيح لتحليل الخطاب"، ثمّ إشرافه على "معجم تحليل الخطاب بالزمالة مع "باتريك شارودو" ومجموعة من الباحثين، وتعكس بعض مساهماته التطبيقية مثل "linguistique pour le texte littéraire" و" Pragmatique pour le discours littéraire"، تأثّره من جانبيْن في تقديمه لتخصّص تحليل الخطاب: الجانب الأوّل هو اللسانيات، والجانب الثاني هو التداولية، وكنّا قد أشرنا إلى تعريفه للخطاب ضمن ذلك التصوّر التداولي، الذي يتجاوز الجملة من ناحية، ويركّز على البعد الاستعمالي للخطاب، ويمكننا الانتقال ههنا إلى بيان تصوّره لتحليل الخطاب.

رأى "مانغينو" في مقال له بعنوان "تحليل الخطاب وحدوده" (L'analyse du discours et ses frontières) أنّه كما تختلف تعريفات الخطاب تختلف التوجّهات في ضبط ما يعنيه مصطلح "تحليل الخطاب" أو موضوع تحليل الخطاب، وما يتكفّل هذا التخصّص بدراسته، وتبعاً لهذه الوضعية التي تكشف التعدّد والتنوّع في تحديد مجال البحث والدراسة في تحليل الخطاب ذهب إلى التمييز بين لسانيات الخطاب وبين تحليل الخطاب، انطلاقاً من أنّ لسانيات الخطاب هي تخصّص نظريّ يضمّ بعض التخصّصات التطبيقية المندرجة فيه، ومن بينها تحليل الخطاب ونظرية الحجاج والتحليل التحاوري والتحليل النقدي للخطاب، وغيرها من التخصصات التي تباشر عملية التحليل استناداً إلى مرجعية نظرية، والتعبير عن

هذه المرجعية النظرية بمصطلح "لسانيات الخطاب" هو تعبيرٌ عن مجموعة من المسلّمات النظرية والمنهجية التي تتجاوز فيها تخصصات فرعية معينة؛ كالمذكورة سابقاً؛ لسانيات الجملة إلى ما فوق الجملة أو ما بعدها (D.Maingueneau, 2005)، ويتعلّق الأمر أساساً بإدخال مفاهيم المقام والقصد والتلفظ والاستعمال والفعل والتماسك والانسجام والاستدلال في الدراسة اللسانية، ومن هذه النقطة تظهر الوضعية الحرجة التي ما زال يعيشها تخصّص تحليل الخطاب، مما يدلّ على أنّه لا يزال يحظى بعدم استقرار معرفيّ خاصّة في اختلاف وجهات نظر منظّريه ومطبّقيه، ولعلّ السبب في ذلك في نظرنا هو اختلاف مشارب النشأة التي أدّت إلى تبلور التخصّص معرفياً ومنهجياً، وتعبيراً عن هذه الوضعية دافع "مانغينو" عن فكرة أنّ ظاهرة الخطاب لا يمكن أن تكون موضوعاً معرفياً إلّا إذا دُرِسَت في تخصّصات متعدّدة، لكلّ منها فائدة معيّنة مثل اللسانيات الاجتماعية ونظرية الحجاج وتحليل الخطاب والتحليل التحاوري والتحليل النقدي للخطاب وغيرها (D.Maingueneau, 2005, p. 66).

ويقوم التداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب أساساً في دراسة ظاهرة واحدة هي الخطاب باعتباره تواصلاً إنسانياً، وإن كانت التداولية قد اهتمّت في أوّل أبحاثها بوحدة جزئية هي الملفوظ أو الجملة في سياق التلفظ؛ فإنّ هذه الوحدة لم تكن كافية بحسب بعض الدراسات، وقد صار الاهتمام بالخطاب؛ ومن وجه آخر بالنص؛ غرضاً من أغراض التداولية، فدخلت مفاهيمها في تحليل الخطاب واللسانيات النصية ابتداءً بالملفوظ والتلفظ والسياق والمقام التواصلي، والقصد والفعل الكلامي، وتداخل النصوص والتحاور والإشاريات والمهمات ومضمرات القول والحجاج، وصار من المهمّ في تحليل الخطاب تحليل المقام التواصلي الذي جرى فيه الخطاب وتحليل الأفعال الكلامية الموجودة فيه وصولاً إلى الأفعال الكلامية الكلّية التي لها دور أساسيٌّ في تحديد جنس الخطاب، كما تُدْرَسُ آليات الإشاريات والمهمات

ومضمرات القول وحضورها في الخطاب إضافة إلى دراسة الملفوظات الحجاجية وتوظيفاتها في السياقات التواصلية، ويعدّ كذلك الاهتمام بالتعاون التأويلي الذي يمارسُهُ المتقبّل للخطاب أحد المباحث التداولية المهمّة، وقد انفتح مجال دراسة الأدب باعتباره ظاهرة تواصلية أي خطاباً ناتجاً في سياق تواصلي معين بتطبيق منهج التداولية في دراسته وهذا من بين ما تتقاطع فيه التداولية مع تحليل الخطاب، إذ إنّ تحليل الخطاب يستعمل المفاهيم التداولية التي أشرنا إليها في مقاربة جديدة للخطاب الأدبي، وقد جاء هذا الاستعمال في رأي "مانغينو" بعد النتائج الطيّبة التي حقّقتها التداولية بمفاهيمها المتعدّدة في دراسة الخطابات التواصلية الأخرى أو أجناس الخطاب الأخرى، ويَعُدُّ "مانغينو" هذا الانتقال الجديد في دراسة الأدب باعتباره خطاباً تحت تأثير التداولية فتحاً جديداً، لا تصبح فيه اللسانيات وسيلةً فقط كما كانت في الأسلوبية التقليدية والبنيوية، وإنّما تصير وسيلةً منهجيةً لتنظيم الحقول المعرفية واستثمار الظواهر وهذا «تطور مقترن باللسانيات النصية ولسانيات الخطاب مستوحاتيْن من الاتجاهات التداولية ونظريات التلفظ، أَثْرتاَ بشكل معتبر التفكير في الملفوظات الأدبية» (D.Maingueneau, Un tournant dans les études littéraire, 2003, p. 21)، وقد شمل هذا الإثراء تطورات في دراسة بعض القضايا الأدبية المهمّة مثل أجناس الخطاب، وتعدّد الأصوات الملفوظي، وإشارات التفاعل الشفهي، والسياقات الحجاجية وقوانين الخطاب والإحالات والمجاز...إلخ.

6. تحليل الخطاب عند "توين فان دايك":

اشتهر اسم "توين فادن دايك T.A. Van Dijk" بنحو النصّ أو لسانيات النصّ، وكان من أبرز المنظّرين له من خلال مجموعة من الكتب والأبحاث، ثمّ كانت له بعض الدراسات والبحوث أيضاً في الخطاب وتحليل الخطاب، وقد سجّلنا في بعض أبحاثه المنشورة الارتباط الوثيق بين تحليل النصوص في تسمياته المختلفة (نحو

النص، ولسانيات النص، والتحليل النصّي) من جهة، وتحليل الخطاب من جهة أخرى، كما نستطيع أن نربط بين مفهومه للنصّ ومفهومه للخطاب، فكتابه المترجم إلى العربية "النصّ والسياق" في عنوانه الفرعي مثلاً دلالةٌ على ذلك الارتباط "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، وقد أشرف على مجموعةٍ من الأبحاث طبعت مشتركةً في كتاب واحدٍ بعنوان:" Discourse as Structure and Process, Discourse studies: A Multidisciplinary Introduction "، ومن بين مؤلّفاته التي واصل فيها الدراسات حول تحليل الخطاب كتابه المترجم "الخطاب والسلطة"، وهو توجّه ضمن التحليل النقدي للخطاب الذي أشرنا إليه سابقاً، وقد ضمّنه الكثير من الأفكار التي تجاوز فيها لسانيات النص إلى تحليل الخطاب.

1.6 مفهوم الخطاب عند "فان دايك":

حين نتتبّع جهود "فان دايك" نجد أنّها قد ابتدأت من تلك النقطة التي ترى في الخطاب وحدةً متجاوزةً للجملة، وعلى هذا لابدّ من اقتراح مبادئ جديدة لتحليلها، فالمصطلح المقابل الذي نجده لديه في كتابه المعرَّب "النصّ والسياق" هو مصطلح الخطاب، إذ يقول في سياق الكلام عن إحدى المسلّمات التي يقوم عليها هذا الكتاب: «وهناك أسبابٌ أدّت بنا إلى أن نسلّم بأنّ العبارات المنطوقةَ يجب أن تعاد صياغتها تبعاً لوحدةٍ أوسع ما تكون، وأعني بذلك المتن أو النصّ، وهذا الاصطلاح الأخير إنّما استعمل هنا ليفيدَ الصياغة النظرية المجرّدة المتضمّنة لما يسمّى عادةً بالخطاب» (دايك، 2000، صفحة 19)، إلاّ أنّه لم يقلّل من فوائد القواعد النحوية الخاصة بالجملة في استعمالها في الدراسة اللسانية للخطاب بهذا الاعتبار، ولكنّه يقترح أيضاً استعمال مصطلح النحو في مفهومٍ واسعٍ، أي النحوُ مضافاً إليه الدلالة والتداولية معاً، ففي الكتاب المشترك يقدّم "فان دايك" بحثاً بصدد التمهيد للمقالات والأبحاث

الأخرى، بعنوان "دراسة الخطاب The study of discourse"، وفيه يجيب عن السؤال الأساسي "ما هو الخطاب؟".

يشير "فان دايك" إلى وجود أكثر من تصوّر للخطاب، ويختلف ذلك التصوّر باختلاف وجهات النظر، فمحلّل الخطاب السياسي ينظر بنظرةٍ تختلف عن وجهة نظر محلّل الخطاب الفلسفي أو محلّل التحاورات اليومية أو محلّل الخطاب الأدبي، ولذا يحاول "فان دايك" التجميع بين وجهات النظر المتعدّدة في تصوّرٍ للخطاب أكثر تنظيراً، يقول:« يحاول محلّلو الخطاب تجاوز مثل تلك التعريفات البديهية للخطاب، يتفقون على أنّ الخطاب هو شكل من أشكال استعمال اللغة، ولكن نظرًا لأنّ هذا التصوّر لا يزال غامضًا وغير مناسب دائمًا، فإنّهم يقدّمون مفهومًا أكثر نظريةً لـ "الخطاب" يكون أكثر تحديدًا وفي نفس الوقت أوسع في تطبيقه. إنّهم يريدون تضمين بعض المكوّنات الأساسية الأخرى في المفهوم، هي "من" يستعمل اللغة و"كيف" و"لماذا" و"متى"» (Dijk, 1997, p. 2)، وانطلاقاً من هذه التساؤلات العامّة يستنتج أهمّ مميّزات الخطاب:

-أوّلاً: الخاصّية الأولى للخطاب **كونه استعمالاً للغة**.

-ثانيا: الخاصّية الثانية هي وظيفيّته أي أنّه لأداء غرضٍ، فالخطاب **حدث تواصليّ**؛ "أي أنّ الناس يستخدمون اللغة لتوصيل الأفكار أو المعتقدات (أو للتعبير عن المشاعر)، وهم يفعلون ذلك كجزء من الأحداث الاجتماعية الأكثر تعقيدًا، على سبيل المثال في مواقف محدّدة مثل لقاء مع الأصدقاء، أو في مكالمة هاتفية، أو درس في الفصل، أو في مقابلة عمل، أو أثناء زيارة الطبيب، أو عند كتابة أو قراءة تقرير إخباري" (Dijk, 1997, p. 2).

-ثالثاً: الخاصّية الثالثة هي التفاعل، فالخطاب أيًّا كان هو عبارةٌ عن حدثٍ يشير إلى الفعل والتفاعل، "فالمشاركون **يفعلون شيئًا ما**، أي شيءٌ آخر يتجاوز مجرّد استخدام اللغة أو توصيل الأفكار أو المعتقدات: فهم يتفاعلون، وللتأكيد على هذا

الجانب التفاعلي للخطاب، يوصف أحيانًا أيضًا بأنّه شكل من أشكال **التفاعل اللفظي**" (Dijk, 1997, p. 2).

وبناءً على هذه الخصائص الثلاثة تتعدّد التخصّصات التي تدرس الخطاب وتحلّله، و"عادةً ما تكون مهمّة دراسات الخطاب تقديم أوصاف متكاملة لهذه الأبعاد الرئيسية الثلاثة للخطاب: كيف يؤثر استعمال اللغة على المعتقدات والتفاعل؟، أو العكس؛ كيف تؤثر جوانب التفاعل على كيفية كلام الناس؟، أو كيف تتحكم المعتقدات في استعمال اللغة والتفاعل؟ إضافةً إلى ذلك وبجانب تقديم أوصاف منهجية، قد نتوقّع أن تقوم دراسات الخطاب بصياغة نظريات تشرح هذه العلاقات بين استعمال اللغة والمعتقدات والتفاعل".

2.6 مبادئ تحليل الخطاب عند "فان دايك":

مثل تعدّد البنى والمستويات والأبعاد المختلفة للخطاب، تتعدّد المناهج والتخصّصات في دراسة الخطاب، ولذا يقوم "فان دايك" بالتمييز بين بعض الأنواع أو الأساليب أو أنماط التحليل، ويضرب لذلك المثال في الفرق بين دراسات "النص Text" و"المحادثة أو المنطوق Talk"، إذ يميل تحليل النص إلى التعامل في كثير من الأحيان مع البنى (المجردة) للخطاب المكتوب كموضوعٍ ثابت، بينما تركّز دراسة المحادثة بدلاً من ذلك على الجوانب الأكثر ديناميكية للتفاعل التلقائي، وتحليل النصّ أكثر ارتباطًا باللسانيات، بينما دراسة المحادثة من العلوم الاجتماعية. ومع ذلك ، على الرغم من الاختلافات الكبيرة بين هذين التخصّصيْن، إلّا أنّهما بنفس النظام والقواعد يقومان بالتحليل التفصيلي لبنى النص والمحادثة واستراتيجياتهما، كلاهما أكثر وصفية وأقلّ شرحًا، ويميلان إلى تجاهل السياقات الأوسع (على سبيل المثال المفاهيم العرفانية أو الاجتماعية).

يرى "فان دايك" أنّه بالطريقة نفسها يمكن التمييز بين دراسات شكلية أكثر تجريداً، "مثل الفرق بين النحو والذكاء الاصطناعي من جهة، ودراسات للنصوص

المنتجة بالفعل أو المحادثات في سياقات اجتماعية وتاريخية محددة، أي عن الطرق التي يتعامل بها مستعملو اللغة الفعليون والفاعلون الاجتماعيون (غالبًا بشكل غير كامل) في الكلام، وإيجاد معنى وفعل الأشياء بالكلمات" (Dijk, 1997, p. 23).

هذا التعدّد في زوايا النظر في تحليل الخطاب؛ ساق "فان دايك" إلى التمييز بين مجموعة كبيرة من المقاربات تختلف باختلاف التخصّصات، وهذه التخصّصات التي أثمرت تحليل الخطاب هي:

-الإثنوغرافيا، –البنيوية والسيميائية، -نحو الخطاب، -اللسانيات الاجتماعية والتداولية، -المنهجية الإثنية، -علم النفس المعرفي، -علم النفس الاجتماعي وعلم النفس التخاطبي، -علوم الاتصال، وتخصّصات أخرى (Dijk, 1997, pp. 25-27).

واستنتج من خلال هذه المقاربات المتعدّدة والتخصّصات المختلفة أهمّ مبادئ تحليل الخطاب (Dijk, 1997, pp. 29-31).

7. خاتمة:

يبدو من الواضح أنّ اختلاف وجهات النظر إلى الخطاب جعلتْ من الصعب الاستقرار على منهج معيّن في التحليل، وكان هذا عاملاً أساسياً في اختلاف تصوّرات تحليل الخطاب، وكنّا قد أشرنا عبر عناصر هذا المقال إلى مفهوم الخطاب أوّلاً عبر ثلاث تصوّرات هي: التصوّر التركيبي الذي ينظر إلى الخطاب في مقابل الجملة، والتصوّر الدلالي الذي يركّز على المضمون في تمييز الخطاب، والتصوّر التداولي الذي ينظر إلى الخطاب باعتباره استعمالاً لغوياً تمّ إنتاجه في مقام تواصلي معيّن، ثمّ تناولنا أهمّ أنواع المقاربات التي أطلقت مصطلح "تحليل الخطاب"، وانقسمت تلك المقاربات إلى مقاربات أنجلوساكسونية ومقاربة فرنسية، أمّا المقاربات الأنجلوساكسونية فهي متعدّدة المداخل تترابط بأكثر من تخصّص بين الإثنولوجيا وعلم الاجتماع والتواصل والفلسفة، ولذا كانت المقترحات فيها متعدّدة كذلك، وعلى هذا يمكننا الإشارة إلى أحد أسباب اختلاف التصوّرات المعاصرة لتحليل الخطاب بأنّ تقاطعه مع علومٍ وتخصّصات أخرى جعلتْ المقترحات في مناهج التحليل أيضاً مختلفة، وقد أشرنا أيضاً أثناء الحديث عن المقاربات الأنجلوساكسونية إلى أبرز تلك المقاربات انتشاراً وهو

التحليل النقدي للخطاب، ثمّ انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن المقاربة الفرنسية لتحليل الخطاب، والذي ظهر لنا من متابعتها أنّها تأثّرت بتطوّر لسانيات التلفّظ والتداولية، ولذا ارتبطت في تطبيقاتها بالجانب اللساني البحتْ، وكانت لها صلاتٌ وثيقةٌ بلسانيات النصّ، ثمّ أشرنا إلى أبرز ما قدّمه كلٌّ من "د.مانغينو" عبر المقاربة الفرنسية، و"ت.فان دايك" عبر المقاربة الأنجلوساكسونية، ويمكننا تلخيص نتائج بحثنا في النقاط التالية:

-تعدّد وجهات النظر إلى مصطلح "الخطاب" أدّت إلى تعدّد التصوّرات في تعريفه والنظر إليه من جهة، وإلى اقتراح مقاربات مختلفة في تحليله من جهة أخرى.

-تجسّد المقاربات المقترحة في تحليل الخطاب بين المقاربات الأجلوساكسونية والمقاربة الفرنسية ظاهرة تداخل التخصّصات (Interdisciplinaire) أو التخصّصات البينية.

-تُظهِر كثافة المقترحات في تحليل الخطاب والاختلاف بينها التحدّي الذي تجابهه الأبحاث الأكاديمية العربية، فالمكتوب عربياً قليلٌ جدًّا في هذا المجال، كما أنّ المكتوب لا يصل إلى درجة التنظير أو التطبيق بشكلٍ واضحٍ، ولعلّ أبرز الاقتراحات التي نصرّ عليها في ختام بحثنا هو التوصية على ترجمة ونقل المكتوب غربياً في مجال تحليل الخطاب لمواكبة هذا التخصّص.

8. قائمة المراجع:

1. فان دايك. ت (2000). *النص والسياق* . الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

2. فاركلوف. نورمان (2009). *تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

3. B.Combettes M.Charolles. (1999). Contribution pour une histoire récente de l'analyse du discours. *Langue française*, pp. 76-116.

4. C.Baylon .(2002) .*Sociolinguistique Société,langue et discours* .Paris: Nathan.

5. D.Maingueneau .(2003) .Un tournant dans les études littéraire . in: R.Amossy D.Maingueaneau ،*L'analyse du discours dans les*

études littéraire. pp .(25-15)Toulouse: Presses Universitaires du Mirail.

6. D.Maingueneau) .Mai, 2005 .(L'analyse du discours et ses frontières .*Marges linguistiques*. pp.75-64

7. Deborah Shieffrin .(1994) .*Approches to discourse* . Cambridge.Massachusetts.USA: Blackwell.

8. Emile Benveniste .(1974) .*Problèmes de linguistique générale* . Paris: Gallimard.

9. Emiles Benveniste .(1966) .*Problèmes de linguistique générale* .Paris: Gallimard.

10. G-E.Sarfati .(2001) .*Elements d'analyse du discours* .Paris: Nathan.

11. J.Dubois .(2001) .*Dictionnaire de linguistique* .Paris: Larousse.

12. P.Charaudeau et D.Maingueneau .(2002) .*Dictionnaire de l'analyse du discours* .Paris: Seuil.

13. T.A.Van Dijk .(1997) .The study of discourse تأليف . T.A.Van Dijk & others ،*Discourse as Structure and Process, Discourse studies: A Multidisciplinary Introduction*(pp 1-34) . London: Sage Publications.